مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(١ كورنثوس ٣: ٩-١٧)

يا إخوةُ إنَّا نحنُ عاملونَ مع اللهِ وأنتم حَرْثُ اللهِ وبِناءُ اللهِ* أنا بحسبِ نِعمةِ اللهِ المُعطاةِ لي كبنَّاءٍ حكيمٍ وضعتُ الأساسَ وآخرُ يبني عليه. فلْينظُرْ كلُّ واحدٍ كيف يبني عليه* إذ لا يستطيعُ أحدٌ أن يضعَ أساساً غيرَ الموضوعِ وهو يسوعُ المسيح* فإنْ كان أحدٌ يبني على هذا الأساس ذهباً أو فِضَّةً أو حِجارةً ثمينةً أو خَشباً أو حَشيشاً أو تبناً* فإنَّ عَمَلَ كلِّ واحدٍ سيكون بَيِّناً لأنَّ يوم الربِّ سيُظهِرُهُ لأنَّه يُعلَنُ بالنار وستَمتَحِنُ النارُ عملَ كلِّ واحدٍ ما هو* فمَن بقِيَ عملُهُ الذي بناهُ على الأساسِ فسينالُ أُجرةً* ومَن احترقَ عملُهُ فسيخسَرُ وسيخلُصُ هو ولكن كمن يمرُّ في النار* أمَا تعلمونَ أنَّكم هيكَلُ اللهِ وأنَّ روحَ اللهِ ساكِنٌ فيكم* مَن يُفسِدُ هيكلَ اللهِ يُفسِدهُ اللهُ لأنَّ هيكلَ اللهِ مُقدَّسٌ وهو أنتم.

ثقوا، أنا هو لا تخافوا

في السياق الإنجيلي، يقع النص الإنجيلي المتلو علينا في هذا اليوم مباشرة بعد إشباع الرب يسوع لـ«نحو خمسة آلاف رجل، ما عدا النساء والأولاد» من خمس خبزات وسمكتين بعدما «تحنن عليهم وشفى مرضاهم» (مت ١٤: ١٤-٢١). بين الحادثتين ارتباط وثيق، وكأنهما حلقتين متصلتين من سلسلة واحدة. في الحادثة الأولى انصرف المسيح إلى موضع خلاء منفرداً. فانجذبت إليه الجموع وخرجت من مدنها ماشية إليه. هناك تحنن عليهم، شفى أمراضهم، غذّاهم روحياً بكلامه الإلهي، ومن ثم أشبع جوعهم الجسدي. صحيح أن المسيح هو مَن أتى إلينا أولاً. ولكن لكي تُفعم نفسك من حنانه الإلهي، ولكي تُشفى من أمراضك وتتغذى بفهم أسراره الإلهية (الخبزات تشير إلى أسفار الشريعة الخمسة والسمكتان إلى عهدي الكتاب الإلهي)، عليك أن تنفصل عن اهتمامات وضوضاء دنياك، وأن تسعى جاهداً إلى المسيح وتختلي به. تماماً كما خرجت الجموع من مدنها ماشية، إلى حيث كان «في موضع خلاء منفرداً». هناك يلقاك المسيح بحنانه، يشفيك وينيرك ويغذّيك، ويشبعك من حاجات دنياك مُغدِقاً عليك النِعَم. وكأننا بالمسيح يقول لنا هنا: «عجقة يومياتكم تُبعِدكم عني. تعالوا اختلوا بي، ثقوا ولا تخافوا». إزاء ما قلناه هنا قد يتساءل البعض، وفي الحدثين «اختلاء» بالمسيح، هل علينا إذاً أن «نتنسّك» لكي تتحقق لنا هذه الخلوة بالمسيح؟ قطعاً لا. فالجموع بعدما غذّاها المسيح عادت إلى ديارها، ولكن مستنيرة مغذّاة. تماماً كما في القداس الإلهي حيث نقول «لنطرح عنا كل اهتمام دنيوي»، وفي ختامه نقول «لنخرج بسلام» إذ نكون قد «نظرنا النور الحقيقي وأخذنا الروح السماوي ووجدنا الإيمان الحق».

بعد ذلك «ألزم يسوع تلاميذه أن يدخلوا السفينة ويسبقوه إلى العبر»، أي إلى الشاطئ الآخر. أما هو، فـ«صعد إلى الجبل منفرداً ليصلّي». لا بد أن تستوقفنا كلمة «ألزم»، ومعلوم أن الله ربّنا يحترم الإرادة البشرية بل ويقدّسها. بيد أن التلاميذ هم صورة المؤمن الذي ألقى بنفسه كلياً في يدي

العدد ٢٠١٢/٣٢

الأحد ٥ آب

تقدمة عيد التجلّي

تذكار الشهيد أفسغنيوس

اللحن الثامن

إنجيل السَحَر التاسع

الإنجيل

(متى ١٤: ٢٢-٣٤)

في ذلك الزمان اضطرَّ يسوعُ تلاميذَهُ أن يدخلوا السفينةَ ويسبقوهُ إلى العَبْرِ حتى يصرفَ الجموعَ* ولمَّا صرفَ الجموعَ صعِدَ وحدَهُ إلى الجبلِ ليصلّي. ولمَّا كان المساءُ كان هناك وحدَهُ* وكانتِ السفينةُ في وسطِ البحرِ تكُدُّها الأمواجُ لأنَّ الريحَ كانت مُضادَّةً لها* وعند الهجعةِ الرابعةِ من الليل مضى إليهم ماشياً على البحر* فلمَّا رآهُ التلاميذُ ماشياً على البحر اضطربوا وقالوا إنَّه خَيالٌ ومن الخوفِ صرخوا* فللوقتِ كلَّمهم يسوعُ قائلاً ثِقوا أنا هو لا تخافوا* فأجابه بطرسُ قائلاً يا ربُّ إنْ كنتَ أنت هو فمُرني أن آتيَ إليك على المياه* فقال تعالَ* فنزل بطرسُ من السفينة ومشى على المياه آتياً إلى يسوع* فلمَّا رأى شِدَّةَ الريح خاف وإذ بدأَ يغرقُ صاح قائلاً يا ربُّ نجِّني. وللوقتِ مدَّ يسوعُ يدهُ وأمسك به وقال له يا قليلَ الإيمان لماذا شككتَ* ولمَّا دخلا السفينةَ سكنَتِ الريحُ* فجاءَ الذين كانوا في السفينةِ وسجدوا له قائلين بالحقيقةِ أنت ابنُ الله*

الله وسلّمه إرادته بكامل حريّته. وهذا أفضل استثمار إذا جاز التعبير، ذلك أن الله وحده يمتلك لا ليأسُر بل ليُحرّر. يقول آباؤنا القديسون متأمّلين هذا النص الشريف إن المسيح «ألزم» تلاميذه الخروج في البحر ليلاً ليختبروا إيمانهم في الشدة أولاً، ومن ثم ليختبروا أن حضوره الإلهي هو وحده سرّ وضمانة سلامتهم. هؤلاء الذين سلّموا كامل ذواتهم لله طوعاً، يبنيهم الله على صخر صلب (وما لم نحصل عليه بالجهد لا نحافظ عليه ولا ننميّه) ويعزّيهم بحضوره معهم، لا مشدداً وحسب بل غالباً وقاهراً لكل ما قد يقوى عليهم. كالعاصفة في الحادثة التي نحن بصددها. ويلزمهم المسيح هنا أن يدخلوا السفينة (ترمز إلى الكنيسة)، وأن يعبروا البحر (تيّارات هذا العالم) إلى الشاطئ الآخر (برّ الأمان، ميناء ملكوت الله). أما صعود المسيح إلى الجبل منفرداً فلا يعني البتة مجرّد رغبة منه في الانفصال عنهم لشيء من هدوء أو ما أشبه. عبارة «صعد إلى الجبل منفرداً ليصلي» معناها أبعد من الآنيّة أو المكانيّة. إنها تشير إلى اختلاء المسيح بأبيه السماوي شفيعاً بنا وسنداً لنا ونحن في الضيقات، واصلاً إيانا بالسماء، ومستمداً لنا من السماء عوناً للعبور وسط عواصف العالم وهيجانه إلى أمان الميناء السماوي.

إذ ذاك صارت السفينة «في وسط البحر تكُدُّها الأمواج لأن الريح كانت مضادَّة لها». تيّارات العالم ومفاهيمه وضواغطه، كلها ضدّك متى أردت العبور إلى ميناء الله. هذه يختبرها كل مؤمن كل يوم. إن آثرت الوداعة والسلام في تعاطيك مع الناس تُنعَت بالجبن، وإن كنت أميناً صادقاً فأنت «ساذج لا تعرف من أين تؤكل الكتف»، والأمثلة المشابهة من يوميات حياة هذا العالم يضيق بها المكان. خيار التلاميذ في السفينة كان واحداً من إثنين: اما أن يستسلموا للريح فتردّهم إلى حيث كانوا، وإما أن يصارعوا التيارات المضادة، أمانة لأمر السيد. تماماً كحال إبرهيم حينما أمره الله أن «إذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك» (تك ١٢: ١). ولما آثروا الأمانة وبذلوا كلّ ما في وسعهم في وجه الرياح المضادة والتيارات العاتية، أتى إليهم المسيح «ماشياً على البحر» أي قاهراً القوات المضادة.

هذه الحادثة وكأنها تلخّص بشكل حيّ كلّ صورة للخلاص. فبتمرّد الإنسان على الله خرج من الفردوس الآمن إلى عرض البحر (حالة الابتعاد عن الله)، وصارت حياته عرضة للموت الأبدي بسبب الرياح المضادة أي مغريات الخطيئة. ناموس الطبيعة المتمرّدة سمّر البشرية تحت الموت الأبدي «غاصت في مياة غامرة» (خر ١٥: ١٠). ولما أتت شريعة موسى صار الإنسان قادراً أن يصارع العناصر المضادة لخلاصه، إن أراد. أي على الأقل أن يتمرّد على قوى الموت ويصارعها، وإن لم يكن بعد قادراً على قهرها. وفي الهزيع الرابع أو في أظلم أوقات الليل (الليل آنذاك كان يقسم إلى أربعة أرباع)، أي «لما حان ملء الزمان»، جاء المسيح إلى خليقته «ماشياً على البحر» أي دائساً قوى الموت قاهرها. وحده المسيح قادر أن يعبر العالم دون أن تقوى عليه «الرياح المضادة» أو أن يبتلعه العالم.

عندما جاء المسيح إلى البشرية، في ربع ليلها الأخير، قاهراً عتوّ العالم ورياحه المضادة، كثيرون

ولمَّا عـبَـروا جـاءوا إلى أرض جَنّيسارَتْ.

تأمل

«فإن عمل كل واحد سيكون بيّناً لأن يوم الرب سيُظهره لأنه يُعلَن بالنار».

إنّ العلاقة متينة بين الخطيئة والجحيم، والظالمون والخطأة هم في الجحيم منذ الآن قبل الجحيم الآتية.

ترى إنساناً يتمتّع بمآكل غنية، ويلبس ثياباً فاخرة، ويمضي راكباً حصانه تُحيط به حاشية من الخَدَم، ويتباهى في السوق، لا تتوقف عند هذه الأشياء التي تظهر لك، إذ لو استطعتَ رؤية ما في قلبه كنت ستلاحظ أنّ ثمّة اضطراباً كثيراً بسبب الخطايا، وإثماً كبيراً، وخوفاً عظيماً. كنت سترى ضميره يجلس في قفص الاتهام والأفكار تقف كجلاّدين يصرخون بقوة ويجلدون ذهنه ويجرّحونه بلا رحمة بسبب خطاياه، وهذه كلّها لا يعرفها أحد إلا الله وحده.

فعلى سبيل المثال، إن سقط أحد في الزنى، مهما كان غنياً، وحتى إن لم يكن لديه مَن يتّهمه، لن يستطيع أن يتخلّص من تأنيبات الضمير. لقد كانت لذّته مؤقتة لكنّ عذابه مستمر، تحيط به المخاوف والشبهات من كلّ جهة، شكّوا وظنوا أنه خيال. إذ إن تجسّد الكلمة الإله وانحداره إلينا متجسداً وفادياً إيانا بدمه، لم يستوعبه عقلهم المحكوم بمحدودية مفاهيم العالم ثمة تيارات فكرية، منها القديم ومنها ما هو بعد مستمر، شكّكت بتجسّد الكلمة ابن الله، أو أنكرت لاهوت يسوع المسيح. هؤلاء اختاروا طوعاً أن لا يفهموا سرّ خلاصه، وبالتالي استحال عليهم لقاؤه وإدراك وجوده في حياتهم مخلّصاً. أما المجاهدون الذين تهاجمهم بشراسة مغريات هذا العالم حتى تكاد أن تنال من شجاعتهم، فلهؤلاء يقول الكلمة الفادي مؤكداً «ثقوا، أنا هو لا تخافوا».

اللسان

اللسان عضلة في الجسم البشري يتصل الإنسان من خلالها بالله وبقريبه. الإتصال بالله يكون من خلال الصلاة وإنشاد التسابيح الإلهيّة على غرار الملائكة والشيروبيم والسيرافيم الذين ينشدون تسبيح الظفر مترنمين وهاتفين وصارخين وقائلين «قدوس قدوس قدوس رب الصباؤوت». أما الإتصال بالقريب فيكون من خلال التواصل الشفهي أي «الكلام».

قد يكون إستخدام اللسان إما نافعاً أو قبيحاً. نستخدمه للصلاة والكلام الموزون أو للكلام القبيح والشتائم وإدانة الآخر. يقول الرسول يعقوب في رسالته: «هكذا اللسان أيضاً هو عضوٌ صغيرٌ ويفتخر متعظماً. هوذا نارٌ قليلة، أيَّ وقودٍ تُحرق فاللسان نارٌ. عالَم الإثم. هكذا جُعِلَ في أعضائنا اللسان الذي يدنّس الجسم كلّه ويضرم دائرة الكون ويُضرَم من جهنم لأنّ كل طبع للوحوش والطيور والزحّافات والبحريات يُذلّ وقد تذلّل للطبع البشري. وأمَّا اللسان فلا يستطيع أحدٌ من الناس أن يذلّله. هو شرٌّ لا يُضبط مملوءٌ سمًّا مميتاً. به نبارك الله الآب وبه نلعن الناس الذين قد تكوَّنوا على شبه الله. من الفم الواحد تخرج بركة ولعنة» (يع ٣: ٥–١٠).

أما كاتب المزامير فيقول إنّ اللسان البذيء يصدّر الكذب والغش والرياء والإغتياب والنميمة «فمه مملوءٌ لعنةً وغشاً وظلماً. تحت لسانه مشقّةٌ وإثم» (مز ١٠: ٧). وفي مكان آخر يصفه بالأفعى «سنُّوا ألسنتهم كحيَّة، سمُّ الأفعوان تحت شفاههم» (مز ١٤٠: ٣)، وبسيف حاد «اضطجع بين المتَّقدين بني آدم أسنانهم أسنَّةٌ وسهامٌ ولسانهم سيفٌ ماض» (مز ٥٧: ٤). ويذهب إرميا النبي بوصف اللسان بالسهم القاتل «لِسانهم سَهمٌ قتّالٌ يتكلّمُ بالغِشّ. بفمه يُكلّمُ صاحبه بسلام وفي قلبه يضع له كميناً» (إر ٩: ٨). هذا وقد يكون الحرمان من اللسان الناطق عقاباً إلهياً كما حصل مع زخريا النبي الذي لم يصدق كلام الملاك جبرائيل حين بشّره بأن زوجته أليصابات ستحبل بيوحنا السابق (لو ١: ٢٠). ومن جهة أخرى نرى كيف أنّ يسوع كان يشفي الخرس ويعيد لهم النطق ليترنموا بمدائح الرب كما يقول إشعياء النبي: «حينئذٍ يقفزُ الأعرجُ كالأيلِ ويترنّم لسانُ الأخرس لأنّه قد انفجرت في البرية مياهٌ وأنهارٌ في القَفْر» (أش ٣٥: ٦). تكمن خطيئة اللسان بحسب القديس أنطونيوس ليس في انشغاله بالشكر والصلاة، بل في التكلم بالشر على الآخرين.

إذا نظرنا إلى مجتمعنا اليوم نلحظ كيف أنّ الكلام البذيء والخدّاع والمنافق يطغى على لسان شبابنا الذين لا يتكلمون سوى بهذا النوع المليء بالتعابير الجسدانية

يخاف الطرقات الصغيرة الضيقة، ويرتاب من خدّامه، ويذوب خشية أن تصير خطيئته معروفة لدى امرأته المخدوعة. أينما يذهب يرافقه ضميره كمؤنّب لا يلين، يختنق من أفكار إثمه ولا يستطيع التنفّس. في الفراش وعلى المائدة، في السوق وفي البيت، في النهار وفي الليل وحتى في أحلامه، خطيئته أمام عينيه، يعيش حياة قايين متأوهاً ومرتعداً مثله، يحمل النار في داخله من دون أن يشعر به أحد.

هكذا يتعذّب اللصوص والمختلسون والقاتلون والسكارى، وكلّ الذين يعيشون في الخطيئة، لأنه يستحيل إلغاء محكمة الضمير.

إذاً، ألا نعيش في الفضيلة ونحتمل؟ هل نعيش في الإثم، وحالما تنتهي الشهوة الخاطئة، تبدأ معاناتنا النفسية؟

لكن، وإن لم تكن هناك جحيم؟ فالجحيم الصغيرة، هي أن يفقد الإنسان الفردوس، والعقاب الأشد هو ألا يرث الإنسان ملكوت الله الأبدي، وأن يُحرم ذاك المجد الذي لا يعبَّر عنه، وأن يبقى خارج ذاك الاحتفال السماوي، وأن يفقد تلك الخيرات التي لا توصف.

القديس يوحنا الذهبي الفم

الغرائزية ولو عن طريق المزاح ولا يوجد إلاّ قلّةٌ تحافظ على لياقة الحديث. وما السبب الذي يجعل من شبابنا ينطق بتلك التعابير إلا غياب التربية المسيحية التي ينبغي على الأهل تأمينها للولد، إضافة إلى إنشغال الأهل والأولاد بالمحادثات الهذيانيّة والأنساب والخصومات التي يحذّرنا منها الرسول بولس في رسالته إلى تيطس (تي ٣: ٩). ينكبّ بعض شباب هذا العصر على سماع الأغاني العصرية الصاخبة التي أفقدت الكلمة والموسيقى جمالهما ورسالتهما التثقيفية، كما إلى تلك البرامج التي غزت شاشات التلفزة بالكلام القبيح المنافي للأخلاق المسيحيّة والآداب العامة. وبدلاً من توجيه أطفالنا وأولادنا نحو ما هو لمنفعتهم العلميّة والروحيّة، نتركهم ينجرّون وراء تلك الأمور ونفرح عندما نراهم يتحدثون مثل هذا أو تلك من شخصيات هذه البرامج. وقد غابت عن ألسنتهم الأناشيد الروحية والصلوات لتسبيح الله.

يقول القديس كاسيانوس «لا يطالبنا الله أن نتخلى عن علاقتنا بالناس لكن أن نقطع الأسباب الشريرة من ذواتنا». يجب أن تتسم علاقتنا بالآخر باللياقة والمحبة الأخوية لا بالإدانة والذم والكراهية، متناسين أننا مسيحيّون لابسون المسيح. فالشفاه في خدمة القلب وتنطقان بصفاته. من هنا قول إشعياء النبي: «هذا الشعب قد اقترب إليَّ بفمه وأكرمَني بشفتيه وأمَّا قلبه فأبعَده عنّي وصارت مخافتهم مني وصيَّةَ الناسِ مُعلَّمَةً» (أش ٢٩: ١٣).

يقول بولس الرسول في رسالته إلى أهل كولوسي: «ليفتح الرب لنا باباً للكلام لنتكلّم بسرّ المسيح» ويتابع قوله «ليكن كلامكم كل حينٍ بنعمة مُصلَحاً بملح لتعلموا كيف يجب أن تجاوبوا كل واحدٍ» (كو ٤: ٣–٦). ويضيف: «وأما الآن فاطرحوا عنكم أنتم أيضاً الكل، الغضب السخط الخبث التجديف الكلام القبيح من أفواهكم. لا تكذبوا بعضكم على بعض إذ خلعتم الإنسان العتيق مع أعماله» (كو ٣: ٨–٩).

ميزة الإنسان المسيحي أنّه يحب. فالمحبة بالنسبة إلى رسولنا هي رباط الكمال. نحن الذين لبسنا المسيح في المعمودية، واجب علينا أن نسلك على صورة خالقنا، أي على عكس تيار هذا العالم: «فالبسوا كمختاري الله القديسين المحبوبين أحشاءَ رأفاتٍ ولطفاً وتواضعاً وداعةً وطول أناةٍ، محتملين بعضكم بعضاً ومسامحين بعضكم بعضاً» (كو ٣: ١٢–١٣). عندما نسلك في هذه الطريق نصرخ نحو الله الآب بصوت التوبة قائلين: «إجعل يا رب حارساً لفمي وباباً حصيناً على شفتي» (مز ١٤١: ٣)، وعندئذ نرنم مع بولس الرسول «بمزامير وتسابيح وأغاني روحيَّة بنعمة مترنمين في قلوبكم للرب» (كو ٣: ١٦).

عيد التجلّي

بمناسبة عيد تجلّي ربنا وإلهنا ومخلّصنا يسوع المسيح يترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة صلاة الغروب عند السادسة من مساء الأحد ٥ آب ٢٠١٢ وخدمة القداس الإلهي عند التاسعة والنصف من صباح الإثنين ٦ آب في كنيسة أبوينا البارين أنطونيوس الكبير وبورفيريوس الرائي.